فكاهات

الكولونيل جيرار (١)

— ١٥ —

قد قصصت عليكم ايها الاصدقآء بعض وقائعي وانا ملازم في الجيش ثم وانا ضابط فرقة ثم كولونيل ثم رئيس فرقة والآن ترون انني انتقلت فجأةً الى اهم واسمى

تعلمون ان امبراطورنا المحبوب في السنوات الاخيرة التي قضاها في جزيرة القديسة هيلانة توسل مراراً ليؤذن لهُ في ارسال كتاب واحد من كتبهِ بدون ان يطلع الحاكم عليهِ كما جرت بهِ العادة . ومع ان نفسهُ الكبيرة لم تكن قط تتنازل لمخلوق فانهُ اعاد طلبهُ وتوسلاتهِ في هذا الشأن حتى وعد انهُ اذا سمحوا لهُ بذلك يقوم بنفقات نفسهِ ويوفر على الحكومة الانكليزية ما تنفقهُ عليهِ . غير انهم كانوا يعرفون مقدرة ذاك الرجل المصفرّ اللون القصير القامة ويخافون سطوتهُ فلم تغرّهم مواعيدهُ ولم يسمحوا لهُ بذلك . وقد اهتم كثيرون بمعرفة افكار الامبراطور او على الاقل بمعرفة الشخص الذي كان يودّ ان يرسل اليهِ ذلك الكتاب السرّي فقال بعضهم انهُ ربما كان الى زوجتهِ وقال غيرهم بل هو الى حميهِ او الى الامبراطور اسكندر او المارشال سولت ولكنهم لم يصيبوا المرمى . واخالكم تتعجبون كثيراً اذا قلت لكم ان الذي كان يودّ ان يرسل اليهِ ذلك الكتاب هو انا . نعم انا فان الامبراطور كان يهمهُ جدًّا ان يوصل ذلك الكتاب الى الكولونيل جيرار لانني وان كنت كما ترونني ليس لي من حطام الدنيا سوى مئة فرنك اتقاضاها من الحكومة كل شهر فلم اكن لابرح من ذاكرة الامبراطور بل اؤكد لكم انهُ كان يجود بقطع يسراهُ

(١) بقلم نسيب افندي المشعلاني

ليتمكن من محادثتي خمس دقائق . ولكي ابرهن لكم على ذلك ها كم السبب

اننا بعد معركة فريشامبنواز وجدنا جنودنا في حالة يرثى لها من الضعف وكانت فرقتي قد تشتتت في الحملة على غارون ثم بلغنا استيلآء الاعدآء على باريس وان سكانها وضعوا على قبعاتهم الوردة البيضآء وبلغنا اخيراً ما هو ادهى من ذلك وهو ان مرمونت وجيوشهُ قد انحازوا الى البوربون فكنا ننظر بعضنا الى بعض متسائلين هل يبقى معنا احد من القواد الآخرين وهم جوردان وموراث وبرنادوت وجوميني فاننا كنا مع وجود كل هؤلآء ومرمونت معنا مستعدين لمحاربة اوربا باسرها واما في ذلك الحين وقد فرغت يدنا من اكثرهم فانهُ صار يلزمنا فضلاً عن محاربة اوربا ان نحارب نصف فرنسا ايضاً

وبعد مسيرٍ شاقّ بلغنا فونتنبلو ونحن بقية من جيش ناي وجيش ابن عمي القائد جيرار وجيش مكدونلد والجميع نحو خمسة وعشرين الفاً وسبعة آلاف من الحرس . ولكننا كنا في حالة تجعلنا بقوة خمسين الفاً ومعنا امبراطورنا وهو يعادل خمسين الفاً اخرى وكان دائماً يسير بيننا متبسماً يلقي كلامهُ بلطف هنا وهناك مشجعاً معزياً حتى صارت الجنود تنظر اليهِ نظر اليونان الى آلهتهم . وفي ذات مسآء كنت مع بعض الضباط نشرب كأساً من الخمر واذا برسول قد جآء يستدعيني لمقابلة برتيه فنهضت مسرعاً وكان يقيم في جناح قصر فرنسوا الاول بازآء محل سكنى الامبراطور . فلما دخلت غرفة الانتظار رأيت رجلين اعرفهما احدهما الكولونيل دسبيان والآخر الملازم تريمو وهما من اصدقآئي . واذ ذاك دخل علينا الحاجب وقال ان الجنرال برتيه يود ان يكلم الكولونيل جيرار فنهضت واستأذنت صديقيّ وتبعت الحاجب فادخلني غرفةً صغيرة رأيت فيها مائدة ورآءها برتيه وقد بانت عليهِ دلائل الاهتمام والابتئاس . ولما حييتهُ نظر اليّ وقال قبل ان احدثك اريد ان تقسم لي بشرفك قسم جنديٍّ وشريف ان لا تدع احداً يعلم ما سأقولهُ لك او ما سيجري بيننا . ولما اقسمت لهُ قال لا يخفى عليك ان نجم سعد الامبراطور قد أفل ولم يبقَ اقل امل في اعادتهِ الى الاشراق وقد انحاز عنا الجنرال جوردان

في روان والجنرال مرمونت في باريس وانضما الى البوربون ويقال ان تاليرند يذاكر ناي في اقتفآء اثرهما . ومن المؤكد ان المقاومة لا تجدينا نفعاً بل قد تضرُّ بنا ولذلك رأيت الاولى ان نلقي القبض على الامبراطور ونسلمهُ الى البوربون وبذلك تنتهي هذه الحرب المشؤومة التي جرَّت علينا الويل والدمار فهل توافقني على هذا الرأي . فلما سمعت هذه الكلمات خارجة من فم برتيه وهو اعزّ اصدقآء الامبراطور والوحيد الذي نال من نعمهِ ما لم ينل سواهُ كدت افقد رشادي فنظرت اليهِ نظرة الاحتقار والازدرآء ولم افه بكلمة حتى اعاد سؤالهُ فقلت انني لا اسمع يا مولاي الا ما اريدهُ وبما انني لم اسمع شيئاً من كلامك الآن فاسمح لي ان اعود من حيث اتيت . فقال مهلاً يا جيرار افلست تعلم ان مجلس الشيوخ قد اعلن عصيانهُ للامبراطور وان الامبراطور اسكندر اصبح من اضدادهِ . فقلت انني لا اهتم يا مولاي بما يفعل مجلس الشيوخ ولا بما يقول الامبراطور اسكندر اكثر مما اهتم ببقية الخمر التي ترسب في كأسي ولا شيء في العالم باسرهِ يهمني سوى المحافظة على شرفي وخدمة اعظم واقدس شخص في العالم وهو سيدي ومولاي الامبراطور ناپوليون بوناپرت . فهز برتيه كتفيهِ وقال اذاً تؤثر ان نبقى ضد الامة وضد القدر وان نثير الحرب الاهلية التي سوف تدمر فرنسا . وهل جهلت ان اكثر القواد تركونا ولم يبقَ منا بقيةٌ تذكر وانهُ اذا اخلصنا للامة وللبوربون قبل فوات الوقت وسلمنا اليهم الامبراطور تحفظ حياتنا اولاً وننال اعظم الرتب والمقامات العالية . فلم احتمل سماع ذلك ورفعت رأسي فقلت لم اكن اظن انهُ يأتي يومٌ اسمع فيهِ اعظم مارشالية فرنسا يهين نفسهُ ويحط من قدرهِ بمثل هذه الافكار فانت وشأنك يا سيدي الجنرال اما انا فان قُبل الامبراطور او رُفض لا يزال سيفي لاصقاً بقبضة يديَ ادافع بهِ عن شخصهِ المقدس وعن شرفي الى آخر نفس من حياتي . اما برتيه فقرع جرساً بالقرب منهُ فدخل الحاجب فقال لهُ خذ الكولونيل جيرار الى الردهة فادخلني الحاجب الى بهوٍ كبير وامرني ان استريح فيهِ قليلاً وكنت اود التخلص من ذلك الكهف الجهنمي غير انهُ لم يمكني مخالفة الاوامر فجلست على احرّ من الجمر . ولم يمضِ

اكثر من ربع ساعة حتى فتح الباب ودخل الحاجب يقود الكولونيل دسبين فرأيتهُ اصفر اللون وقد جحظت عيناهُ ورقص شاربادُ وهو يقول يا لهُ من صلٍّ خائن جاحد الجميل فعلمت انهُ قابل برتيه وسمع منهُ ما سمعتهُ انا . ولما كنا كلانا قد اقسمنا لبرتيه ان لا نفوه بكلمة مما سمعناهُ جعلت احلف واستم مثلهُ لاعلمهُ اني من رأيهِ وان فكر برتيه ضد معتقدي . وانّا لكذلك واذا بصراخ الاستغاثة قد بلغ آذاننا فاسرعنا الى الباب فاذا الملازم تريمو والقائد برتيه في عراك شديد وقد امسك الملازم بعنق القائد فكاد يخنقهُ . فبذلنا كل الجهد حتى فصلناهُ عنهُ فوقف والزبد في شدقيهِ وهو يقول قد جآء هذا الشيطان ليطغيني . واذ ذاك فُتح الستار الازرق عن الحائط المقابل وظهر نابوليون نفسهُ فاسرعنا لتأدية التحية العسكرية فنظر الينا بتبسم لطيف ولكنهُ مخيف ثم تقدم الى برتيه فوضع يدهُ على كتفهِ وقال بلطفٍ لا ينبغي ايها العزيز ان تطلب المصارعة مع احد . فقال برتيه ولكنهُ كاد يعدمني الحياة يا مولاي . فقال الامبراطور كنت اود ان اسرع لانقاذك لو لم يسبقني هذان الشهمان . ثم نظر الينا وتقدم الى تريمو فامسك اذنهُ وقال انك كنت من رفاقي في الحملة المصرية ونلت الوسام في معركة مارنغو و يسرني ان ارى نار الحدة لا تزال تتأجج في صدرك . اما انت يا كولونيل دسبين فاهنئك لانك اعرت المغري اذناً صماَء وانت يا كولونيل جيرار لا زال سيفك مسلولاً بيني و بين اعدآئي . نعم انني كنت محاطاً ببعض الخوَنة اما الآن فيسرني ان ارى حولي بعض المخلصين

ولا اظنكم قادرين على تصور ما خامرنا ايهـا الاصدقآء عند ما كلمنا نابوليون بهذا اللطف فكنا نميل كالسكارى ونحن غير مصدقين انهُ يخاطبنا كاصدقآء لا كجنود. ثم انهُ اشار الينا باتباعهِ الى غرفةٍ اخرى قائلاً تعالوا لاوضح لكم المقصود من هذه الرواية التي تمثلت الآن اما انت يا برتيه فارجو ان تبقى في غرفتك لنكون على ثقةٍ من ان لا يفاجئنا احد . فقلت في نفسي ما عسى ان يريد منا الامبراطور في خلوةٍ يحرسن بابها احد مارشالية فرنسا ولكننا ما دخلنا حتى وقف نابوليون بيننا وقال اني اخترتكم ايها الاحبآء من بين الجيش بأسرهِ لانكم أشجع واصدق جنودي وقد

كانت برتيه ان يمتحنكم كما فعل وجلست في نفس الغرفة اسمع من وراء الستار ما يدور بينكم وبينهُ من الحديث . ولا احسبكم تلومونني على ما فعلت بعد ان رأيت الخيانة في نفس اسرتي و بين اقرب الناس اليَّ . اما الآن فني واثق باخلاصكم ولن أشك فيهِ ابداً . وما سأقولهُ لكم الآن لم أقلهُ لمخلوقٍ قط فلا زوجتي ولا اخي يعلمان غايتي . اننا فقدنا كل شيء ايها الاصدقاء ولم يبقَ أقل أمل في تقويم حالتنا فيجب أن نستعد لذلك . واول ما يجب عملهُ الآن هو حفظ اوراقي ومالي لان أملي في المستقبل اذا وُجد يتوقف على ذلك وهو وحدهُ اساس نهضتنا ثانية اذا ساعدنا التوفيق لانني اعتقد ان البوربون لا يستطيعون ان يجعلوا من موطئ قدمي عرشاً لهم . ولا أدري أين اخفي هذه الاوراق والاموال الآن لانهُ لا بد لهم من تفتيش منزلي وبيوت اصحابي فيجب اذاً ان احفظ هذه الاشياء في موضع لا يلتفتون اليهِ لانها أثمن عندي من حياتي ولذلك قد اخترتكم انتم الثلاثة من بين رجال فرنسا لمعاونتي في هذا الامر . اما اوراقي المذكورة فهي صكوك طلاقي لجوزفين وزواجي الشرعي بماري لويز وولادة ولدي ووارثي ملك رومية فاذا فقدت شيئاً منها فقدت حقي من المطالبة بعرش فرنسا . اما الاوراق الباقية فمالية تبلغ اربعين مليوناً من الفرنكات ولا انكر انهُ مبلغ جسيم ولكنهُ لا يهمني اكثر من هذه العصا التي في يدي بالنسبة الى الاوراق الاخرى . وقد اطلعتكم على كل ذلك لتتحققوا اهمية الامر الذي اسلمهُ اليكم فاسمعوا لي بانتباه لاخبركم أين تجدون هذه الاوراق وماذا يجب ان تفعلوا بها . ان الاوراق سُلّمت في هذا الصباح الى صديقتنا الامينة الكنتة والوسكي في باريس وفي الساعة الخامسة ستخرج من فونتنبلو في مركبتها الزرقاء فتصل الى هنا بين الساعة التاسعة والعاشرة والاوراق مخبوءة في عربتها حيث لا يعلم بها احد سواها . وقد بُلّغت ان ثلاثة فرسان سيلاقونها خارج البلدة فتدفع اليهم الاوراق وهؤلاء الفرسان هم انتم . انك يا جيرار اصغر الثلاثة سناً ولكنك اكبرهم رتبةً فخذ هذا الخاتم وأبرزهُ للكنتة وهو العلامة المتفق عليها لتسلم اليكم الاوراق واتركهُ معها بمنزلة وصولٍ منا . ومتى استلمتم الاوراق فسيروا في الغابة

الى طرفها الآخر عند المحل المعروف ببيت الحمام فانكم تروني هناك في انتظاركم الاّ اذا رأيت في الامر خطراً فاني ارسل بدلاً مي خادمي الخاص مصطفى فمهما يقل لكم فافعلوهُ . ومتى بلغتم بيت الحمام ترون الى يمين المدخل ثلاثة معاول فتحفرون حفرة عمقها ثلاث اقدام عند زاوية الباب الشمالي المتجهة الى فونتنبلو ثم تدفنون فيها هذه الاوراق وتردّون الارض كما كانت وبعد ذلك قابلوني في القصر

وكان الامبراطور يلقي اوامرهُ هـذه بمنتهى الدقة والتفصيل فلما انتهى طلب منا ان نقسم على حفظ السر وابقآء الاوراق في مخبأها ما بقي حيًّا . ولما خرجنا من لدنهُ توجهنا الى منزل الكولونيل دسبين فتناولنا طعام المسآء ونحن نفكر فيما سنقوم بهِ واتفقنا ان نسير من المنزل في جهات مختلفة ونتقابل في نقطة معلومة على الطريق المؤدية الى باريس . فأخذت فرسي ڤيوليت وحسامي وغدارتين وكان الليل نقياً هادئاً والبدر يشرق بنورهِ ثم اجتمعت برفيقيّ فسرنا معاً وكلنا عيون تنظر الى الامام مترقبين وصول مركبة الكنتة . ولم نزل كذلك حتى سمعنا ساعة القصر تقرع العاشرة ولم نرَ احداً فخامرنا شك في نجاح رسالتنا واذا بصوت عجلات المركبة عن بعد ثم صار يقترب ورأينا امامنا مصباحيها ثم جيادها الدهمآء وما صدقنا ان صارت بالقرب منا حتى استوقفناها واقتربنا من النافذة فرفعت يدي الى رأسي محيياً الكنتة وقلت لها اننا يا سيدتي الفرسان الثلاثة الذين اوفدهم جلالة الامبراطور لمقابلتكِ . فنظرت اليّ بازدرآء وقالت وانا اعلم يا هذا انكم ثلاثة فرسان خائنين . ولوضربتني بيدها اللطيفة على وجهي لما اوجبت تعجبي اكثر مما استغربت كلامها فقلت عفواً يا مولاتي فهذا الكولونيل دسبين وهذا الملازم تريمو وانا الكولونيل جيرار الذي ولا شك تعرفينهُ بالسماع . فقالت يا لكم من لصوص خوَنة ومن اعلمكم ان معي اوراقاً ام رأيتم انني امرأة ووحيدة فأردتم ان تسخروا بي . فقلت لا اعلم ماذا اصابك يا مولاتي حتى تسمعينا هذا الكلامَ واكرر لكِ ما قلتهُ ان الامبراطور عهد الينا في استقبالكِ لامرٍ تعلمينهُ وقد اعطانا هذا الخاتم وهو العلامة المتفق عليها . فاخذت الخاتم من يدي وتأملتهُ على نور المصباح ثم قالت نعم انهُ خاتمهُ بعينهِ فآه يا الهي

ماذا فعلت . ورأيت على وجهها علامة الارتباك فقلت عجلي يا سيدتي وسلمي الينا الاوراق. قالت ولكنني سلمتها من نصف ساعة الى ثلاثة فرسان استقبلوني واخبروني انهم مرسلون لهذه الغاية . فلمع شرار الغيظ في عينيَّ وقلت لها مَن هم هؤلآء الثلاثة . قالت لا اعرفهم فقد استوقفوا مركبتي وللحال سلمت اليهم الاوراق لعلمي انهم مرسلون من قبل ناپوليون . وفي اقل من لحظة قررت ما يجب ان افعلهُ فنظرت الى رفيقيَّ وقلت ابقيا هنا مع الكنتة وانتظراني فسأعود سريعاً ثم وخزت ڤيوليت فانطلقت تعدو بي كالسهم الى فونتنبلو ووثبت عن ظهرها امام القصر ولم أقف الا في غرفة الامبراطور وكان مع مكدونلد يتحادثان واماههما خريطة . فنظر اليَّ الامبراطور وقد غاظهُ دخولي الفجآئي ولما تبيني امر المارشال ان يتنحى قليلاً ثم نظر اليَّ وقال ما ورآءك . فقصصت عليهِ ما جرى ولم اتم كلامي حتى صاح بي يجب عليك يا عزيزي جيرار ان تسترجع لي هذه الاوراق كيفما كانت الحال فلا تضع ولا دقيقة . قلت ولكن هل تعرف او تظن من يكون هؤلآء الثلاثة . قال لا ولكني اعلم انهم سيأخذون الاوراق الى باريس والغالب انهم سيدفعونها الى ذاك اللئيم تاليراند وانا اؤكد انهم الآن على طريقهم الى باريس وانهُ في امكان احسن فارس في جيوشي ان يدركهم . ولم اسمع تتمة الحديث بل خرجت من لدنهُ كالمجنون وطرت الى حيث تركت رفيقيَّ فعلمت منهما انهُ لم يمر بهم احد فقلت انهم سبقونا الى باريس فهيا لادراكهم . ولم يحتج رفيقاي الى غير نظرة واحدة لمعرفة افكاري فلم يكن الا كوميض البرق حتى اندفعت جيادنا بسرعةٍ لا اظن احداً قبلنا سار بمثلها ولم نكن نرى امامنا مصابيح منزل او شجرة على الطريق حتى تصير ورآءنا بمسافةٍ . وبلغنا فندقاً رأيت امام بابهِ فتى في يدهِ وعآء فيهِ ماء فسألتهُ هل رأى ثلاثة فرسان فقال نعم وقد سقيت جيادهم من بضع دقائق . فتركت بقية الكلام في فيهِ وصحت برفيقيَّ فطارا ورآئي ولم يكن الا القليل حتى سمعت دسبين يقول ها هم ونظرت على نور القمر الى آخر الطريق فرأيت ثلاثة اشباح صغيرة كانت تتجسم كلما اقتربنا منها وكان اثنان منهم بلباس الفرسان والثالث في الوسط كانهُ رئيسهما . وبعد قليل

رأيتهُ ادار وجههُ الينا ليتبين المسافة التي بيننا فعرفتهُ وصحت بهِ قف يا كولونيل مونتلوك قف باسم الامبراطور . فلم يكن الجواب الا ان ادار رفيقاهُ وجههما الينا واطلقا علينا النار فسمعت دسبين يصرخ صراخاً مخيفاً . اما انا وتريمو فبقينا مسرعين وبعد قليل وقف احدهما فقابلنا واشتبك مع تريمو فلم أُدِر وجهي لارى ما يكون بل رأيت رئيسهم لا يزال مجدًّا في السير فتبعتهُ عالماً انهُ كما ترك رفيقيهِ يجب ان اترك رفيقيّ وان اهمية الرسالة ستكون بينهُ وبيني . وكان يبذل جهدهُ في وخز جوادهِ ولكنني كنت اقترب منهُ بعد كل خطوة ثم سقطت قبعتهُ عن رأسهِ فرأيت رأسهُ الاصلع يلمع تحت نور القمر واذا بهِ قد ادار وجههُ ايضاً وافرغ غدارتيهِ معاً في وجه ڤيوليت . ومع انني تحملت اكثر من مئة جرح من رصاص البنادق والسيوف والحراب فلم اشعر بالم اكثر مما شعرت حينئذٍ عند ما ارتجفت ڤيوليت تحتي وقد اصيبت لاني كنت احبها اكثر من كل شيء في العالم ما خلا والدتي والامبراطور . فتناولت غدارتي واطلقتها عليهِ وظننت اولاً انني لم اصبهُ ولكنني ما عتمت ان رأيت في ظهرهِ بقعةً حمراء تتسع شيئاً فشيئاً ثم رأيتهُ يترنح على ظهر جوادهِ واخيراً سقط عنهُ فعلقت رجلهُ بالركاب . وسهل عليَّ اذ ذاك ادراكهُ فامسكت بلجام جوادهِ وقلت لهُ هات الاوراق حالاً ولكنني علمت للحال انهُ لا يجيبني لان الموت كان قد اطبق جفنيهِ فان رصاصتي اخترقت قلبهُ . ولم اكن انتظر غير ذلك فاندفعت ابحث في ثوبهِ وقميصهِ وحذآئهِ وسرج جوادهِ ولكنني لم اجد الاوراق فكدت افقد عقلي وانا اعجب من معاندة الاقدار لي . فوقفت حيناً مسنداً يدي على عنق ڤيوليت افكر فيما يجب ان افعلهُ كي لا يقول الامبراطور انني قصرت في واجباتي . ورأيت مونتلوك ميتاً امامي وعلمت ان احد رفيقيهِ لا بد ان يكون قد قتل ولم يبقَ الا الثالث وقد تركتهُ يقاتل تريمو فاذا نجا منهُ لم ينجُ مني فعزمت ان اعود لمقابلتهِ . وكنت في هذه الفترة قد ملأت غدارتي وفحصت ڤيوليت فوجدت ان رصاصةً مرَّت بالقرب من جلدها والاخرى قد جرحت عنقها ولكنها نظرت اليَّ كمن يقول انها كصاحبها لا تبالي بهذه الطفائف . وفي تلك

الدقيقة استلفت نظري شيء يلمع في الحقل بجانب الطريق فعرفت انهُ السلسلة النحاسية التي على قبعة مونتلوك وتذكرت انها سقطت عن رأسه . ثم خطر لي انهُ كيف يمكن ان تسقط عن رأسهِ وتقع على مسافة خمس عشرة خطوة عن الطريق فلا شك انهُ هو الذي رمى بها وحينئذٍ فلا بد في الامر من سرّ . واذ ذاك وثبت وثبةً واحدة بلغت بها القبعة فاخذتها واذا في وسطها رزمة اوراق مربوطة بخيط قرمزي فجعلت ارقص فرحاً وفي يدي الواحدة قبعة مونتلوك وفي الاخرى الاوراق وقلت ان الامبراطور لم يرتكب غلطاً في تفويض امرهِ وتسليم سرّهِ اليَّ . وكان لثوبي جيب داخلي فوضعت الاوراق فيهِ وامتطيت صهوة ڤيوليت وعدت لارى ما حلَّ برفيقي تريمو فلاح لي فارس يقترب من بعد من جهة الحقول ثم سمعت وقع حوافر تقترب مني واذا الامبراطور نفسهُ على جوادهِ الابيض ملتفّاً بردآئهِ الطويل وعلى رأسهِ قبعتهُ المثلثة . ولما قاربني قال اين الاوراق فدنوت منهُ ودفعتها اليهِ بدون كلمة . فاخذها وفتحها ثم نظر اليها بسرعة ومد ذراعهُ فضمني اليهِ وقبلني قائلاً لله درّك يا جيرار فانت بالحقيقة اعجوبة ولكن قل لي اين تركت السارق . قلت انهُ مات يا مولاي . قال وهل قتلتهُ . قلت انهُ جرح فرسي وما كنت لادركهُ لو لم اطلق عليهِ رصاصتي . قال وهل عرفتهُ قلت هو الكولونيل دي مونتلوك . قال هو الواسطة اما الاصل فلم نلقِ عليهِ القبض بعدُ فآه يا تاليراند آه يا تاليراند اني عرفتك منذ خمس سنوات وتركتك حبًّا ولكن لكلٍّ يومهُ وكما اتذكر اصدقآئي فاني سأذكر اعدآئي ايضاً

فقلت للامبراطور يا مولاي اذا كان امر الاوراق بلغ هؤلآء الخوَنة فارحو ان تتيقن انهُ لم يكن مني ولا من رفيقيَّ . فتبسم وقال انا اعلم ذلك يا جيرار فان الفتنة تتأجج في نفس باريس . قلت وكيف عرفوا بها . فنظر اليَّ كعادتهِ اذا شآء ان لا يطيل الحديث وقال اراك انتفعت من هـذه الخدمة لتتخذني راوياً لك . فصمتُّ لعلمي بطباعهِ وسار وسرت ورآءهُ صامتاً . ثم قال اني لم استطع ان انام هذه الليلة قبل ان اعرف ماذا فعلتم وهآءنذا قد استرجعت الاوراق ولكن

بثمنٍ باهظ جدًّا لانهُ لم يبقَ لي عددٌ من اصدقآئي المخلصين يسهل معهُ فقد اثنين منهم في ليلة واحدة فان الكولونيل دسبين قد قتل وتريمو اصابهُ سيف ذاك الغادر فقتل ايضاً ولو سبقت خمس دقائق فقط كنت انقذتهُ ولم يبقَ سواك ياجيرار وانت الوحيد الذي يعرف مخبأ هذه الاوراق. وشعرت من كلام الامبراطور برنة حزن خارجة من صدرهِ . ومررنا بقريةٍ صغيرة فايقظنا فلاحاً فيهـا وامرناهُ ان ينقل جثث القتلى ثم تابعنا المسير ولم يتكلم الامبراطور شيئاً حتى دخلنا الغابة فنظر اليَّ وقال قد قلت لك انهُ لم يعلم احد سواك بهذه الاوراق واين مخبأها فان مملوكي مصطفى قد اخذ المعاول الى بيت الحمام ولكنهُ لا يعرف لماذا ولم يطلع على سر الاوراق الا ثلاثة وهم امرأة ورجلان اما المرأة فاني اثق بامانتهـا الى الموت واما الرجلان فلا ادري من كان الخائن منهما ولكنني سأعرف ذلك بعد حين . ثم جعل يكلمني باخآء ويثني عليَّ ويخبرني عن ماضيهِ وعن آمالهِ المستقبلة وعن امانة مكدونلد وخيانة مرمونت وعن ملك رومية الصغير واخيراً عن حميهِ امبراطور النمسا الذي يؤمل انهُ يقف بين اعدآئهِ وبينهُ. وكنت اسمع بمزيد الاحترام واذرف الدموع من شدة فرحي ومن محبتي لهُ . ثم بلغنا بيت الحمام فوجدنا المعاول حيث قال فاخذ كلٌّ منا معولاً وقال عجل يا جيرار لانهُ سيبزغ الفجر قبل ان نعود الى القصر . ولما اكملنا الحفرة وضعت الاوراق في بيت غدارتي الجلدي لامنع وصول الفساد اليها ثم طمرناها وازلنا كل ما يدلّ على ذلك ولا اظن ان الامبراطور عمل بيديهِ منذ كان ورآء مدفعهِ في صغرهِ كما عمل تلك الليلة . ولما انتهينا لاح لنا الفجر فنهض الامبراطور وساعدتهُ ليركب جوادهُ فقال لي قد تركنا هذه الاوراق هنا يا جيرار واؤمل منك ان تدفن كل ذكرى تتعلق بها واصرف من مخيلتك كل ما مر في هذه الليلة ولا تتذكر شيئاً منهُ الى ان يوافيك مني امر آخر بعكس هذا ممضًى بختمي وبيدي فعدني انك من هذه الدقيقة تنسى كل شيء . قلت اني اعدك يا مولاي وكفى . ثم سرنا معاً الى اول البلدة فاشار اليَّ ان نفترق ولما رفعت يدي للسلام قال يصعب ان نتذكر المحل بالضبط ان لم نبقِ في فكرنا ان الزاوية

الشمالية الشرقية هي المحل الذي دفناها فيهِ . فقلت دفنا اي شيء يا مولاي . قال الاوراق . قلت اي اوراق يا مولاي. فقال متضجراً الاوراق التي استرجعناها الليلة . قلت لا ادري ماذا تقول جلالتك ولا اعلم اي شيء تعني . فظهرت على وجههِ علامات الغيظ الشديد ولكنهُ عاد للحال فقهقه ضاحكاً وقال حسنٌ يا جيرار فقد فقد غلبتني هذه المرة وقد نسيت انني اوصيتك ان تنسى امرها منذ الساعة ولا اقول لك الآن الا انك اول سياسي كما كنت اول فارس في جيشي واول شجاع في فرنسا

هذا ايها الاصدقآء تاريخ صداقتي مع ناپوليون . ولما رجع من جزيرة ألبا لم يشأ ان يبحث عن الاوراق حتى يستوثق من مركزهِ ولذلك بقيت في مدفنها الى ما بعد ذهابهِ الى جزيرة القديسة هيلانة وفي ذاك الوقت اراد ان يوصلها الى ايدي حزبهِ ولهذا السبب اراد ان يكتب اليَّ كما اسلفت وقد علمت انهُ كتب اليَّ ثلاث مرات فحال حراسهُ دون وصول الرسائل اليَّ . وقد اراد ايضاً ان يقوم بنفقة نفسهِ وعيالهِ وكان يسهل عليهِ ذلك من المبلغ الجسيم المحفوظ في تلك الحفرة ولكن لم يستطع ان يبلّغني امرهُ . ولما توفاهُ الله سنة ١٨٢١ كانت الاوراق لا تزال في مدفنها الى ان استرجعتها مع الكونت برتران لسبب كنت اود ان اقصهُ عليكم لولا ان وقتهُ لم يحن بعد ولكنكم ستسمعون يوماً بخبر تلك الاورق وتعلمون كيف كان ذلك الرجل العظيم قادراً بعد وفاتهِ ايضاً ان يهز اوربا باسرها . ومتى اتى ذلك اليوم تتذكرون اتيان جيرار وتخبرون بنيكم انكم سمعتم هذا التاريخ من فيهِ . اما الآن فقد جآء الربيع ولا شك انكم تفضلون الخروج الى نور الشمس والتمتع برائحة الازهار على البقآء ضمن جدران هذه الحانة وسماع حديث عسكري قديم مثلي . ولكنكم تفعلون حسناً اذا ذخرتم ما قصصتهُ عليكم لانهُ سيأتي الربيع تلوَ الربيع وتبدو الازهار في مواعيدها وتغرد الطيور في اوكارها ولكن ستأتي ازمنة طويلة قبل ان ترى فرنسا مولى مثل ذاك المولى الذي كان يفتخر اعظم عظيم بأن يعد من جملة خدمهِ